

مفهوم الأمان

الأَمْنُ فِي الدُّنْيَا نِعْمَةٌ مِنَ النِّعَمِ الْكُبْرَى، الَّتِي مَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ. فَهُوَ سَبِيلُ لِلرِّاحَةِ وَالطَّمَانِيَّةِ، وَطَرِيقُ الْرَّخَاءِ وَالْاسْتِقْرَارِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ﴾. وَعَدَ اللَّهُ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَجْعَلَ الْمُؤْمِنِينَ خُلَفَاءً فِي الْأَرْضِ، أَئِمَّةً لِلنَّاسِ هُدَاةً مُهَدِّدِينَ، وَأَنْ يُوَفِّرَ لَهُمُ الْأَمْنَ مِنْ بَعْدِ الْحَوْفِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ دِيَنُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

إِنَّ الْأَمْنَ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، لَا يُقْدَرُ بِشَمْنَ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالشُّعُوبِ؛ فَهُوَ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَالْاسْتِقْرَارِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْحَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

حَرَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسَ الْمُؤْمِنِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَحَرَمَهَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ، فَلَا يَجُوزُ الْاعْتِدَاءُ عَلَيْهَا وَقْتُلُهَا، أَوْ إِيْذاؤهَا، وَجَعَلَ عُقوبةً مِنْ يَقْتُلُهَا النَّارَ فِي الْآخِرَةِ، تَكْرِيمًا وَصِيَانَةً لِهَذِهِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقِوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ﴾، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حُطْبَةِ الْوَدَاعِ: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كُحْرَمَةٌ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلْدِكُمْ هَذَا﴾.

وَالنَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ لَهَا دَوَافِعُهَا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهِيَ بِحُكْمِ طَبِيعَتِهَا، تَمِيلُ إِلَى مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَى مَا لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ حَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًاً. وَالْأَمْنُ يَرْتَبِطُ غَالِبًا بِنَزْعَةِ الْخَيْرِ عِنْ الْإِنْسَانِ، وَالْجَرِيمَةُ تَرْتَبِطُ غَالِبًا بِنَزْعَةِ الشَّرِّ عِنْهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَالْهَمَّهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

وَالْإِسْلَامُ لَمْ يَرْكِنْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِنْ سُلُوكِ الْعِبَادِ، إِلَّا وَضَعَ لَهَا قَوَاعِدَ وَأُسُسًا تَتَقَوَّقُ مَعَ مَصْلَحةِ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ، سَوَاءً أَكَانَ هَذَا السُّلُوكُ عِبَادَةً أَمْ مُعَامَلَةً، وَقَرَرَ عُقوبةً لِكُلِّ فِعلٍ لَا يَتَقَعَّدُ مَعَ مَصْلَحةِ الْجَمَاعَةِ وَالْفَرْدِ، فَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ الْأَمْنُ الْذَّاتِيُّ وَالْأَمْنُ فِي الْمَالِ، وَالْأَمْنُ فِي النَّسْلِ وَالْعِرْضِ، وَالْأَمْنُ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَالْأَمْنُ فِي الْحُقُوقِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَالْأَمْنُ فِي كَسْبِ الْعِيشِ الْحَلَالِ.

لَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -بِهَا الْأَمْنُ الشَّامِلُ، حَيَاةً كَرِيمَةً لِلْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ، حَيَاةً مُسْتَقِرَّةً آمِنَةً، هَادِيَةً، لَا يُعَكِّرُهَا سُلُوكُ الْعَاشِينَ وَالْمُنْحَرِفِينَ وَالْمُجْرِمِينَ. فَقَرَرَ الْخَالقُ لِكُلِّ عَمَلٍ مُخْلِّ بِآمِنَةِ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ عُقوبةً رَادِعَةً، لِمَنْ لَا يَمْتَنِي لِأَوْامِرِ اللَّهِ، وَلَا يَنْتَهِي بِنَوَاهِيهِ، وَلَا يَحْرُصُ عَلَى مَصْلَحةِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي يَتَّمَمِ إِلَيْها؛ فَجَعَلَ حَدَّ الْقِصاصِ لِلْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَاةً يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾.

المليون

قراءة موسعة

كانت أكثر أخواتها ذكاءً وتالقاً؛ فقدمت تالقاً متذمراً صغيرها. تميزت وتفوقت في المدرسة، وفي الجامعة، وفي العمل. كما تدفقت نحوهم حبّاً ودفناً، رغم بروادة مشاعرهم نحوها. أسرعـت تعدد طعام العشاء أصنافاً متعددة تُناسب أذواق الجميع؛ فبعد قليل سيجتمع شمل عائلتها في بيتهما المـوضـعـ.

عاد زوجها محملاً بأصناف من الفاكهة والحلوى، لم تكن في استقباله كعادتها؛ بحث عنـها، دخل غرفتها فلم يجدـها. نادـها: أمينة! أمينة! أين أنتـ؟ سمع صوتها: أنا هنا في غرفة المكتبـ. دخل الغرفة متـسـائـلاً: وماذا تفعلـين في مثل هذا الوقتـ؟ رأـها غارقة خلف المكتبـ، وقد تـكـدـستـ أمامـها أوراقـ ومـظـارـيفـ، فـسـأـلـها مـماـزـحاـ: لمـ كـلـ هذه الأوراقـ والمـظـارـيفـ، كـانـ ساعـيـ البرـيدـ أـلقـىـ إليـكـ بـجـعـبـتـهـ؟ ضـحـكتـ، وـقـالـتـ لهـ: إنـها مـفـاجـأـةـ لـنـ أـخـبرـكـ إـلـاـ فيـ المـسـاءـ، حـينـ يـخـضـرـ الجـمـيعـ. وـعـنـدـماـ اقـتـرـبـ مـنـهاـ، أـخـفـتـ الـأـورـاقـ بـيـديـهاـ، وـقـالـتـ لهـ: أـرـجـوكـ. لاـ تـضـعـ بـهـجـةـ المـفـاجـأـةـ! دقـ جـرـسـ الـبـابـ... دـخـلـ الجـمـيعـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ. أـسـرـعـتـ تـمـسـكـ يـدـ وـالـدـيـهـاـ، تـقـبـلـهاـ، تـسـاعـدـهاـ؛ ليـجـلـسـ عـلـىـ أـقـرـبـ أـرـيـكـةـ، ثـمـ قـبـلـتـ رـأـسـ أـبـيهـاـ. حـاوـلـتـ أـنـ تـسـاعـدـهـ ليـجـلـسـ، فـدـفـعـهـاـ قـائـلاـ: اـثـرـكيـ يـدـيـ.. أـنـاـ مـازـلـتـ شـابـاـ... لـسـتـ كـامـكـ العـجـوزـ!

ضـحـكـ الجـمـيعـ. تـبـادـلـوا التـحـيـاتـ وـالـأـشـوـاقـ.

أـلـقـىـ سـلـمـانـ أـصـفـرـ إـخـوـتـهاـ مـاـ لـدـيـهـ مـنـ طـرـفـ. إـنـهـ آخـرـ الـعـقـودـ المـدـلـلـ!

قالـ زـوجـهاـ مـدـاعـباـ: آخـرـ نـكـتـةـ يـاـ جـمـاعـةـ، أـنـ أمـيـنـةـ تـعـدـ لـكـمـ مـفـاجـأـةـ!

رـدـ أـخـوـهـاـ الـأـكـبـرـ: أـخـشـ أـنـ تـكـوـنـ مـفـاجـأـةـ، أـلـاـ عـشـاءـ الـيـوـمـ!

التـفـواـ حـولـ مـائـدـةـ الطـعـامـ العـامـرـةـ. تـوـقـفـواـ عـنـ الـكـلـامـ وـالـضـحـكـ، أـكـلـواـ بـشـهـيـةـ مـتـاهـيـةـ،

فـقـالـ زـوجـهاـ مـبـشـيـماـ: عـلـيـكـمـ الـآنـ أـنـ تـلـقـواـ النـكـاتـ، وـعـلـيـ أـنـ آكـلـ!

رـدـ الـوـالـدـ: يـالـكـ مـنـ صـهـرـ! كـيـفـ نـكـلـمـ، وـلـاـ أـحـدـ يـجـيـدـ الطـبـخـ كـمـ كـانـتـ تـجـيـدـهـ زـوجـتيـ، إـلـاـ اـبـنـتـيـ أـمـيـنـةـ. طـعـامـ رـائـعـ سـلـمـانـ يـدـاـكـ. لـحـظـاتـ رـائـعـةـ تـمـطـرـ سـعـادـةـ وـحـبـاـ.. تـشـعـ صـفـاءـ وـنـقاءـ. إـنـهـ أـجـمـلـ أـوـقـاتـهـ، حـينـ تـرـىـ عـرـىـ الـأـلـفـةـ وـالـمـحـبـةـ، تـحـكـمـ وـثـاقـ أـسـرـتـهـ الـفـالـيـةـ. إـنـهـ تـحـبـهـمـ جـمـيعـاـ. تـتـمـنـىـ لـهـمـ كـلـ حـيـرـ كـمـ تـتـمـنـاهـ لـنـفـسـهـاـ تـمـاماـ.

تـمـطـيـ سـلـمـانـ، وـضـرـبـ بـكـلـتـاـ يـدـيـهـ عـلـىـ بـطـنـهـ وـقـالـ: لـقـدـ اـمـتـلـأـتـ.. الـحـمـدـ لـهـ.

قـالـتـ لـهـ: هـيـاـ يـاـ صـغـيرـيـ. هـيـاـ كـلـ هـدـنـهـ الـلـوـخـيـةـ، طـبـختـهـ خـصـيـصـاـ لـأـجـلـكـ. إـنـهـ تـدـلـلـهـ كـامـهـاـ تـمـاماـ. تـشـعـرـ أـنـ فيـ رـضاـهـ رـضاـهـ وـالـدـيـهـاـ عـنـهـاـ. قـدـمـتـ لـهـ مـنـذـ صـفـرـهـ كـلـ ماـ تـسـتـطـعـ. غـمـرـتـهـ حـبـاـ وـدـلـلاـ وـمـالـاـ، وـأـعـطـتـهـ الـكـثـيرـ، فـهـوـ الصـغـيرـ الـأـثـيـرـ!

قال لها: وَالآن أَيْنَ الْمُفاجَأَة؟ وَقَفَتْ، اسْتَعْدَدْتُ لِلْمَوْقِفِ.

قالتْ لَهُمْ: أَنَا مَشْغُولَةٌ مُنْذُ شَهْرٍ بِحَلِّ مُسَابِقَاتٍ وَالْغَازِرِ، جَائِزَتْهَا مِلْيُونٌ دِينَارٍ.

صَاحَ الْجَمِيعُ: مِلْيُونٌ دِينَارٍ؟ غَيْرُ مَعْقُولٍ!

قالَتْ: صَدِيقُونِي. لَقَدْ اسْتَطَعْتُ بَعْدَ جُهْدٍ أَنْ أَفْكَرَ الْفَازِرَاهَا، وَأَنْ أُجِيبَ عَنْ أَسْئَلَتِهَا الْعِلْمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ. أَنَا مُتَأْكِدَةٌ مِنَ الْحَلِّ الصَّحِيحِ.

قالَ سَلْمَانُ: إِذْنُ سَتَقْوِيزِنَ بِالْمِلْيُونِ دِينَارٍ حَتَّمًا!

أَجَابَتْهُ بِحِدَّةٍ: لَا.. لَا.. لَنْ يَكُونَ لِي وَحْدِي.. إِذَا حَصَلَ، وَكُنْتُ الْفَائِرَةَ، تَقَاسَمْتُهَا بِالْتَّساوِي مَعَكُمْ جَمِيعًا. لَنْ أَرْضِي أَنْ يَكُونَ الْمِلْيُونُ لِي وَحْدِي. تَصَوَّرُوا! لَقَدْ كَتَبْتُ بِاسْمِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ عَشَرَ إِجَابَاتٍ صَحِيحَةً، وَوَضَعْتُهَا فِي عَشَرَةِ مَظَارِيفَ، سَوْفَ أُرْسِلُ سِتِّينَ إِجَابَةً صَحِيحَةً؛ أَيْ حَسَبَ قَانُونِ الْاِحْتِمَالَاتِ، سَتَكُونُ فُرْصَةُ الْفُوزِ لِوَاحِدٍ مِنْ أَكِيدَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ.

سَأَلَهَا عَبْدُ اللَّهِ: هَلْ أَنْتِ جَادَةً يَا أَمِينَةً أَوْ تَمَرَّحِينَ؟ لَا.. لَا.. أَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ إِجَابَاتِي.. عَلَى الأَقْلَى سَيَفُورُ وَاحِدٌ مِنْنَا، وَسَنَتَقَاسِمُ الْمِلْيُونَ.

قالَ سَلْمَانُ مُعْتَرِضًا: وَمَنْ قَالَ لَكَ سَنَتَقَاسِمُ الْجَائِزَة؟ أَنَا شَخْصِيَا لَوْ كَانَ مِنْ نَصِيبِي، لَا حَقَّقْتُ بِهَا لِنَفْسِي، وَلَمَا أَعْطَيْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ دِينَارًا!

قالَتْ لَهُ: أَنْتَ تَمَرَّحُ. غَيْرُ مَعْقُولٍ! أَجَابَ بِلَا مُبَالَاةٍ: لَا.. لَا.. لَا أَمْرَحُ إِطْلَاقًا. هَذَا مَا سَأَفْعَلُهُ! صَمَدَتْ أَمِينَةُ بُرْهَةً، صَدَمَتْهَا أَنَّانِيَّةُ أَخِيهَا الصَّفِيرِ وَأَحْرَزَتْهَا. وَلَكِنْ هَذَا مَا يُتَوقَّعُ مِنْ شَابٍ، تَعَوَّدَ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْجَمِيعِ، وَلَا يُعْطِي أَحَدًا. أَمَّا أَخْوَاهَا الْبَاقِيَانِ، فَهُمَا مُخْتَلِفَانِ تَمَامًا بِالْتَّاكِيدِ، وَكَذَلِكَ أُمُّهَا وَأَبُوهَا وَرَوْجُهَا. تُرِى مَا مَوْقِفُهُمْ لَوْ حَصَلَ أَحَدُهُمْ عَلَى الْجَائِزَة؟ تَرَدَّدَتْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ جَهْرًا. خَطَرَتْ بِبَالِهَا فِكْرَةً.. قَالَتْ لَهُمْ: مَا رَأَيْكُمْ لَوْ أَسْأَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سِرًا؛ عَمَّا سَيَفْعَلُهُ بِالْمِلْيُونِ؟ عَلَيْكُمْ أَنْ تُجِيبُوا بِصِدْقٍ وَصَرَاحَةٍ. لَا تَخَافُوا، لَنْ أُفْشِي سِرَّكُمْ.. ضَحِكَ الْجَمِيعُ؛ فَقَدْ أَعْجَبَتْهُمُ الْفِكْرَةُ.

تَقَدَّمَتْ مِنْ أَبِيهَا وَسَأَلَتْهُ، فَهَمَسَ فِي أَذْنِهَا وَقَالَ: سَوْفَ أَتَرْزُجُ مِنْ شَابَةٍ، تُجَدِّدُ لِي حَيَاَتِي. وَلَكِنْ تَدَكَّرِي، هَذَا سِرُّ بَيْتِنَا! نَظَرَتْ إِلَى أُمِّهَا مُشْفِقَةً، تَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ جَادٍ، كَمَا تَمَنَّتْ أَلَا يَكُونَ الْمِلْيُونُ مِنْ نَصِيبِهِ.

سَأَلَتْ أُمِّهَا بِرِفْقٍ: «وَأَنْتِ يَا أَخْلَى أُمٍّ». هَمَسَتِ الْأُمُّ وَأَجَابَتْ دُونَ تَفْكِيرٍ: «سَوْفَ أَهْدِي الْمِلْيُونَ لِسَلْمَانَ؛ فَهُوَ الصَّفِيرُ الضَّعِيفُ، وَلَمْ يَتَرَوَّجْ بَعْدُ».

قالَتْ لِنَفْسِهَا: يَا إِلَهِي! كَيْفَ تُؤْثِرُهُ عَلَيْنَا جَمِيعًا. أَلَسْنَا أَوْلَادَهَا؟ كَيْفَ تُكْسِبُهُ الْمَالَ، وَتُقْنَدُهُ مَحَبَّةَ إِخْوَتِهِ وَاحْتِرامِهِمْ؟!

نظرت إلى أخيها عبد الله. إنه الكبير العاقل؛ هو من تعود حمل المسؤولية، والبذل والعطاء.
سألته بكل حب: وأنت يا عزيزي؟

طلب منها أن تقرب منه أكثر، وقال بصوت لا يكاد يسمع: سأشتري بيتك جديداً. سأفضل
بزوجتي وأولادي عن أمك وأبيك. أنا متعب جداً من كثرة مسؤولياتي يا أمينة..
يا إلهي! لم تكن تتوقع هذه الإجابة. مستحيل. إنه متضايق من وجود أمه وأبيه. يريد أن
يتخل عن مسؤوليته نحوهما! ليتها لم تسأله. شعرت بذوار خفيف، ثم برغبة في التقيؤ.
جلست والدنيا تدور من حولها. نظرت إلى أخيها أحمد إنه.. أملها الأخير.. ربما كان أفضل
من أخيه. إنه صاحب ملايين مؤكداً سيتقاسم المليون مع الجميع. لا بد أن يفعل، ليس من أجل
المال، بل ليشعل نفسها بصيص أمل، وومضة حير!
تقدّم منها أحمد وقال: ألم يأت دوري بعد؟ ثم قال هامساً دون أن تسأله: لو كسبت المليون،
فسيمكون قد جاء في وقته المناسب تماماً. سأجري صفقة جديدة، أحتاج فيها إلى مليون، وربما
أكثر!

شعرت بالذوار من جديد. ليتها لم سمع ما سمعت.. ليتها لم تسأل، وليتها لم يجيبوا.
نظر إليها زوجها بحب.. ربما كان هو الوحيدة الذي أدرك أنها متعبة. ربما كان هو الذي لن
يتخل عنها، لو زبح الجائزة.. ولكن ما يدريها؟.. ومن يضمن لها؟ نظرت إليه ملياً. همت أن
تسأله. توقفت. لقد خافت من إجابته. خشيت أن يطفي في نفسها آخر ومضة حب وأمل.
اقترب منها هاماً.

أبعدته. قالت له بحدة: أرجوك. أرجوك لا تتكل. لا أريد منك إجابة!
أسرعت إلى غرفة المكتب، جمعت كل الأوراق والمظاريف المترامية. حملت كل الإجابات التي
تعبت فيها شهراً كاملاً. وألقت بذلك الحمل الثقيل في المطبخ. في سلة المهملات. وأشعّلت فيه
النار؛ لتأكله وتحفي معه الحقيقة. نظرت إلى الأوراق وهي تحترق. تمسكت قبلها الأبيض النظيف.
شعرت أن وجه النار ينتقل إليها. إنه يحرق ويُسخن بالسوداد. بكـت بمرارة، ومسحت دموعها
بسـرعة. خافت أن يكتشفوا حقيقة أنفسهم المريبة، وقالت في سـرـها: على الإنسان أن يعيش
مـعـضـ العـينـينـ فيـ كـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ؛ لـتـسـتـمـرـ الـحـيـاةـ.

حملت صينية الكنافة ووضعتها أمامهم، وقالت: هذه هي المفاجأة التي أعدتها لكم. كانت
قصة المليون مزاحاً نظر إليها الجميع مشدوهين. مدّت يدها لتأكل وقالت: هيـا تـفضلـواـ. نـحنـ فيـ
أشد الحاجة إلى الحلوي لنسـمـسـ بهاـ مرـارـةـ آفـاهـناـ!

(وفاء شابي - مجلة الأسرة: بتصرف)